

لقاءات رمضان ١٤٣٤هـ

اللقاء الثاني : تفسير الآيات ١٦٣ ، ١٦٤ من سورة البقرة

أ.أنهيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميدي حفظها الله، وفق الله بعض الأخوات لتفريغها، وسمحت لهنّ الأستاذة بنشرها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تُنشر في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

<http://tafaregdros.blogspot.com>#!/#

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

<http://www.muslimat.net>

- الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضاه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا هو لقاءنا الثاني من لقاءات هذا الشهر المبارك رمضان ١٤٣٤هـ، ولا زلنا بمنة من الله وفضل منه

نتدارس كتاب الله العظيم الذي هو **مصدر الإيمان**، والإيمان **أفضل الأعمال**.

ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: ((إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ))^١. وورد في حديث أبي ذر قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل؟ قال: ((إيمان بالله))^٢. وفي حديث عبد الله بن مسعود قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي العمل أحب إلى الله؟ قال: ((الصلاة على وقتها))^٣.

والصلاة إنما هي **عنوان الإيمان**، ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾^٤، معنى

ذلك أن الإيمان بالله تعالى: أفضل الأعمال، وأعلى الشعب التي يتقرب بها العبد لله عز وجل.

✦ لأنه أصل الأعمال، فلا تصح إلا به.

✦ ولأنه أول واجب على المكلف، فلا تقبل منه سائر الأعمال من عمل

القلب أو اللسان أو الجوارح إلا بتحقيق الإيمان.



فالإيمان تكاثرت النصوص على عظم منزلته في الدين؛ لأنه السياج الحصين الذي يحمي الدين، فإذا

عرفنا هذا، كان من الواجب علينا العناية الشديدة بتعلم الإيمان من القرآن.

وفي سبيل تحقيق هذه الغاية، ومن أجل الوصول إلى هذا الهدف، نجتمع -أسأل الله عز وجل أن يبارك

لنا في اجتماعاتنا- ونتدارس كتاب الله، أسأل الله عز وجل أن يجعله مجلسًا تحيط به الملائكة رغم البعد،

ونختار من الآيات ما يعيننا على الإيمان.

^١ "صحيح البخاري" (باب من قال إن الإيمان هو العمل لقول الله تعالى {وَتِلْكَ الْحُنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}..).

^٢ "صحيح البخاري" (كتاب العتق باب أي الرقاب أفضل).

^٣ "صحيح البخاري" (كتاب الجهاد والسير باب فضل الجهاد والسير).

^٤ المؤمنون: ١-٢

فاخترنا للقاءنا اليوم قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ وهذه الآيات من سورة البقرة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ١٦٣ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٦٤ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ١٦٥ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ١٦٦ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَكُنَّا لَنَا كَرَّةً فَنَتَّبَرَّا مَنِئْهَا وَرَأَوْا مِثْلَ مَا كُنَّا كُنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ١٦٧

[البقرة: ١٦٣ - ١٦٧]

نتدارسها سوياً إن شاء الله من خلال كلام الشيخ السعدي في تفسيره:

قراءة تفسير الآيات من تفسير السعدي والتعليق عليها:

يقول: "يخبر تعالى - وهو أصدق القائلين - أنه ﴿إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ أي: متوحد منفرد في:

- ✦ ذاته
- ✦ وأسمائه
- ✦ وصفاته
- ✦ وأفعاله"

وإلهكم الذي تؤلهونه وتعظمونه إله واحد أي متوحد ليس لكم إله غيره منفرد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.



"فليس له شريك في ذاته، ولا سمي له ولا كفو له، ولا مثل، ولا نظير" في صفاته ، "ولا خالق، ولا مدبر غيره" في أفعاله، المقصود سبحانه فكان هو الإله المستحق لما له من صفات كمال قال: "إذا كان كذلك" أي كانت هذه صفات الله عزّ وجلّ "فهو المستحق لأن يؤله" محبة وتعظيمًا، "ويُعبَد" طاعةً وخضوعًا بجميع أنواع العبادة.

وأيضًا "هو المستحق أن لا يشرك به أحد من خلقه" إذن إلهكم إله واحد، إلهكم الذي يستحق المحبة والتعظيم إله واحد، وهو إلهكم ولا أحد يستحق غيره الألوهية، لا إله إلا هو، إلهكم إله واحد هو المقصود بالعبادة المستحق لها.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ هذا بيان وتوكيد أنه لا يوجد إله غيره، هو الإله وحده الذي يستحق العبادة، وهذا

الأمر هو مبدأ مقصود العبادة ومنتهاها، إلهكم إله واحد .

هو المستحق لأن:

✦ يؤله

✦ ويُعبَد بجميع أنواع العبادة

✦ ولا يُشرك به أحد من خلقه.

ثم وصف نفسه سبحانه وتعالى فقال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ .

إذن هو المستحق لأن يؤله ويُعبَد بجميع أنواع العبادة، ولا يُشرك به أحد من خلقه لأنه الرحمن الرحيم، (المتصف بالرحمة العظيمة التي لا يُماثلها رحمة أحد فقد:

✦ وسعت كل شيء

✦ وعمّت كل حي.

فبرحمته وجدت المخلوقات، "وبرحمته حصلت لها أنواع الكمالات، وبرحمته اندفع عنها كل نقمة، وبرحمته عرّف عباده نفسه بصفاته وآلائه، وبيّن لهم كل ما يحتاجون إليه من مصالح دينهم ودنياهم، بإرسال الرسل، وإنزال الكتب".

نعدّ سوياً آثار رحمة الله عزّ وجلّ على خلقه، وكيف أنه سبحانه وتعالى أظهر لهم استحقاقه للألوهية من جهة آثار رحمته على خلقه، فهو قال سبحانه وتعالى في الآية: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ فله العظمة التامة وله الكبرياء، وترى هذا الأمر واضحاً في آثار رحمته. فقال:

١. برحمة الله وُجدت المخلوقات.
 ٢. برحمته حصلت للمخلوقات أنواع الكمالات برحمة الله، فهو الذي كمل للخلق النعم، وبرحمته سبحانه وتعالى اندفع عنها كل نقمة، فالكمالات التي اجتمعت للخلق والنقم التي اندفعت عن الخلق إنما هي من آثار رحمة الله.
 ٣. وبرحمته -وهذا من **أعظم الرحمة على الخلق**- عرّف الله عز وجل نفسه للخلق، كيف عرف نفسه للخلق؟ أرسل الرسل وأنزل الكتب، لما أرسل الرسل وأنزل الكتب
- ✦ عرف الخلق من خلال الرسل والكتب صفات الله العظيمة
 - ✦ عرف الخلق من خلال الرسل والكتب كل ما يحتاجون إليه من مصالح دينهم ودنياهم.

فكانت هذه الرحمة العظيمة التي يعجز الخلق عن تقديرها ونحن في حال من :

✦ التقصير في شكر هذه النعمة

✦ والإحساس فيها بالرحمة.

لكن من تعلم الكتاب وعرف من أسماء الله وصفاته وشعر بآلائه ، علم يقيناً أن هذه أعظم نعمة، لكن

من تعلم الكتاب، وعرف من أسماء الله وصفاته، وشعر بآلائه، علم يقيناً أن هذه أعظم نعمة.

أنه سبحانه وتعالى عرف نفسه لخلق الضعفاء.

■ فكيف حالنا لو ما عرفنا أن ربنا قريب مجيب الدعاء؟!

- كيف حالنا لو ما عرفنا أن ربنا غفور يغفر الذنب ويقبل التوب؟!؟
- كيف حالنا لو ما عرفنا أن ربنا صمد نصمد إليه في كل حاجة من حاجاتنا؟!؟
- كيف حالنا لو لم نعرف أن ربنا شديد العقاب؟! كيف سيكون حال التظام؟!؟
- وكيف سيفقد الناس التراحم؟
- وكيف سيسيروا على هواهم؟!؟

لا يقدرُونَ قدرة الله ولا يعرفون عظمة الله!

فما أعظمها من نعمة أن يرسل لنا الرسول وأن ينزل عليه الكتاب وأن ييسر لنا قراءة هذا الكتاب وفهمه، فهو صاحب المنة الرحمن الرحيم.

يقول: "إذا عُلِمَ أن ما بالعباد من نعمة فمن الله، وأن أحدًا من المخلوقين لا ينفع أحدًا، عُلِمَ أن الله هو المستحق لجميع أنواع العبادة".

كل ما بك من نعمة فهي من آثار رحمة الله والمخلوقين ليس لهم شيء، لا ينفع أحد أحدًا، إذن النتيجة أن الله هو المستحق لجميع أنواع العبادة.



هو المستحق أن يُفرد بالمحبة والخوف والرجاء والتعظيم والتوكل، وغير ذلك من أنواع الطاعات.

إذن الحق ، هو الله . والمستحق للعبادات ، هو الله .

إذا عُلِمَ أن ما بالعباد من نعمة فمن الله، عُلِمَ أن الله هو المستحق لجميع أنواع العبادة، وعُلِمَ أيضًا أن من أظلم الظلم وأقبح القبيح أن يُعدل عن عبادته إلى عبادة العبيد؛ يترك الناس عبادة الله يعدلون عنها إلى عبادة العبيد!

ما بك من نعمة فمن الله فكيف تشكر غير الله؟!؟

فالعبادة في حقيقتها هي الشكر، إما شاكراً وإما كفوراً، أليس من أظلم الظلم وأقبح القبح أن تشكر غير من أعطاك؟! وتنصرف عمن أعطاك؟! أليس من الظلم أن يُشرك المخلوق من تراب برب الأرباب؟! "وأن يُعبد المخلوق المدبّر العاجز من جميع الوجوه مع الخالق المدبّر القادر القوي الذي قهر كل شيء ودان له كل شيء؟!" نعم إنّ هذا عين الظلم:

- أن تضع شكرك لغير من وهب.
 - وأن تضع ذلك وانكسارك لغير من ملك.
 - وأن ترجو وتنتظر من غير مدبّر، بل هو مدبّر عاجز من جميع الوجوه!
- فهذا أظلم الظلم، وهذا الأمر وقع الناس فيه بأنواع وأشكال، نسأل الله عز وجل أن يكشف عن الأمة الغمة، وأن يرزقها توحيداً فإنّ مبدأ هذه الأمة التوحيد ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح بها أولها .

يقول الشيخ: "ففي هذه الآية إثبات وحدانية الباري وإلهيته، وتقديرها بنفيها عن غيره من المخلوقين".

يعني الله واحد، ﴿وَالْهَكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لكم إله واحد، كيف تثبتون ألوهيته؟ نقول: هو الإله الواحد ولا إله غيره، إذن نقررنا بنفيها عن غيره، إلهنا إله واحد، وغيره لا يستحق الألوهية ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ .

يقول الشيخ: "وبيان أصل الدليل على ذلك" أي ما الدليل على أنه إله واحد لا إله إلا هو؟ ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ "بيان أصل الدليل على ذلك وهو إثبات رحمته التي من آثارها وجود جميع النعم واندفاع جميع النقم" فهذا دليل إجمالي على وحدانيته تعالى، فمن نظر في الكون رأى نعم الله تترى على الخلق، ورأى الخلق محفوظين من أخطار قريبة جداً منهم:

- ✦ فلا السماء سقطت عليهم ولا الأرض خسفت بهم.
- ✦ إنما يسيرون ويأتون وبينون ويعرشون ويفعلون ما يريدون وهم في حفظ من الأخطار.

✦ بل يهوى الهاوي منهم أن يتسلق الجبال، فتراه يفعل وكثير من الأحيان يسلم!

✦ ويغوص ذاك في البحر وكثير من الأحيان ما يسلم!!

فرحمة الله التي وسعت كل شيء وعمت كل حي أعظم دليل على وحدانيته سبحانه وتعالى، إلا أن الخلق لما ينظرون إلى ما هو موجود من آثار رحمته يظنون:

✦ أنه أتى كما اتفق.

✦ وأن هذه الأمور التي دبرها الله إنما هي من طبيعة الكون.

وهذا من قبيح التفكير وضعيف العقل، وإلا لو علمت جيدًا أن كل شيء حولك يشهد بعظمته ستعرف مقدار فركك وحاجتك إليه!

وهذا مقام الوجدانية لا يصح تمامه في القلب إلا بعلمك عن الله.

والله عزّ وجلّ نصب الأدلة في العلويات ، والسفليات (في السماء والأرض)؛ تبصيرًا للجهال، وتذكيرًا للعلماء . من أجل أن يعودوا إلى رشدهم فيعلموا أن هذا لا يمكن أن يكون كما اتفق، وهذا سيثبت لنا بوضوح في الآية التي بعدها.

يقول الشيخ: "ثم ذكر الأدلة التفصيلية" أي أن الدليل الإجمالي على وحدانية الله ما تراه من آثار رحمته، لكن الناس غافلون عن آثار رحمة الله فاتاهم الدليل التفصيلي.

نرى الآن الأدلة التفصيلية ونتأمل كيف تظهر فيها أفعال الله يقول تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَضْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)﴾

نأتي هنا على الأدلة التفصيلية التي تنفع من؟ - كما في آخر الآية - تنفع القوم الذين يعقلون، والله من منته على الخلق لما أمرهم بالإيمان بالغيب أعطاهم هذه العطية العظيمة:

✦ أمرهم بالإيمان بالغيب .

✦ ومدحهم بالإيمان بالغيب.

ولكنه لم يجعله غيبًا مطلقًا لا دلالات فيه، إنما ركب في الناس العقول. ونشر الأدلة، وكثرتها.

ومن العجب أنه خلق عقول الناس متفاوتة وجعل في الكون أدلة متفاوتة.

الناس عقولهم بعضها :

✦ تدرك القريب .

✦ وبعضها تدرك البعيد.

✦ بعضها يدرك المجمل .

✦ وبعضها يدرك المفصل.

✦ بعضها ينظر في الكواكب والنجوم ويبحث في الفلك.

✦ وبعضها يبحث في جسم الإنسان.

✦ وبعضها يبحث في المعادن والجبال.

فسبحان الملك العظيم، نوع الأدلة لأصحاب العقول!!

وبهذا يكون لا حجة! فقد اجتمعت الثلاثة الأمور التي لا بد أن تسبب الإيمان.

(١) أعطى الخلق عقولًا تدرك.

(٢) ونشر الأدلة التي تُدرك.

(٣) وأرسل الرسول يرشد ويعلم.

فاجتمع على الخلق كل ما يقطع عليهم حُجتهم، لكن الناس منصرفون عن ذلك مستخدمون عقولهم فيما لا ينفعهم، الله عز وجل من آثار رحمته ورأفته بخلقه جعل العالم - السموات والأرض - محتويًا على أدلة إجمالية وتفصيلية تعجز القوى البشرية عن ضبطها كلها يُستدل بها على وحدانيته.

بعض هذه الأدلة أوضح من بعض، ليشترك الكل في المعرفة، فيحصل لكل معرفة بمقدار ما اعتنوا بالدلائل، لكن الشقي من طبع على قلبه وترك الاستدلال بعظيم فعل الله.

يقول الشيخ: "أخبر تعالى أن هذه المخلوقات العظيمة آيات أي أدلة على وحدانية الباري وعظيم سلطانه ورحمته وسائر صفاته" أي أنك ستسمع الآن من الأدلة ما يدل على أنه إله وعلى أنه واحد، وأنه سبحانه وتعالى رحمن رحيم، وسائر الصفات، يقول: "ولكنها { لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } أي: لمن لهم عقول يُعملونها فيما خُلقت له" عقولنا خُلقت لوظيفة، فالقوم الذين يعقلون هم الذين يستخدمون عقولهم فيما خُلقت له، يُعملونها أي يُشغلونها .

"فعلى حسب ما مَنَّ الله على عبده من العقل ينتفع بالآيات ويعرفها بعقله وفكره وتدبره" فهذا يجعلنا شديدي التنبه لسبب **زيادة الإيمان**، الآية فيها دليل على أن من وسائل وأسباب وطرق زيادة الإيمان التعقل، بمعنى التفكر .

فإن من أحسن استخدام عقله فُتح له زيادة الإيمان واليقين والثبات، اللهم ثبتنا على الحق والإيمان.

يقول: "ففي خلق السماوات أي في :

- ✦ ارتفاعها
- ✦ واتساعها
- ✦ وإحكامها وإتقانها
- ✦ وما جعل الله فيها من الشمس والقمر والنجوم
- ✦ وتنظيمها لمصالح العباد

وفي خلق الأرض مهادا للخلق، يمكنهم :

- (١) القرار عليها
- (٢) والانتفاع بما عليها
- (٣) والاعتبار"

هذه ثلاثة أمور: يمكنهم القرار، ويمكنهم الانتفاع، ويمكنهم الاعتبار، فالله خلق هذه الأرض أهلها يتمتعون بها وينفعون بها ويعتبرون بما فيها.

يقول: "ما يدل ذلك على انفراد الله تعالى بالخلق والتدبير، وبيان قدرته العظيمة -إذن ما تراه في السموات والأرض يدل على قدرته- التي بها خلقها -إذن خلق السموات والأرض يدل على القدرة-، وحكمته التي بها أتقنها، وأحسنها ونظمها" أيضا تدل على الحكمة، أين تظهر آيات الحكمة؟ في إتقان آيات السموات والأرض وإحسانها وإتقانها ونظمها .

وأيضًا يدل ذلك على أي شيء من صفاته؟ على علمه ورحمته، في أي شيء؟ "التي بها أودع ما أودع، من منافع الخلق ومصالحهم، وضرورتهم وحاجاتهم". إذن من خلق السموات والأرض تبين لنا قدرة الله، حكمة الله، علم الله، رحمة الله.

فالقدرة في خلقها، والقدرة في إتقانها وإحسانها ونظمها، والعلم والرحمة فيما ترى فيها من عطايا أودع فيها ما أودع من منافع الخلق ومصالحهم وضرورتهم وحاجاتهم.

"وفي ذلك أبلغ الدليل على كماله، واستحقاقه أن يفرد بالعبادة لانفراده بالخلق والتدبير، والقيام بشؤون عباده" أي هو الذي خلق السموات والأرض، فهو الذي يُفرد بالعبادة؟ لأي شيء؟ لأنه انفرد بالخلق والتدبير والقيام بشؤون عباده، فكيف يُنكر توحيدهِ ورحمته فانظر إلى السماء والأرض، من خلقهم واحد ومن يدبرهم واحد، لو كان إله السماء غير إله الأرض، كيف ستكون المنافع لإحداهما؟ كيف ترتبط منافع هذه بمنافع هذه؟ إنه إله واحد، وترى آثار رحمته في كل شيء.

" (و) في (اِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) وهو تعاقبهما على الدوام، إذا ذهب أحدهما، خلفه الآخر، وفي اختلافهما في الحر، والبرد، والتوسط، وفي الطول، والقصر، والتوسط، وما ينشأ عن ذلك من الفصول، التي بها انتظام مصالح بني آدم وحيواناتهم، وجميع ما على وجه الأرض، من أشجار ونوابت، كل ذلك بانتظام وتدبير، وتسخير، تنبهر له العقول، وتعجز عن إدراكه من الرجال الفحول، يدل على ماذا؟ ما يدل ذلك على قدرة مصرفها، وعلمه وحكمته، ورحمته الواسعة، ولطفه الشامل، وتصريفه وتدبيره، الذي تفرد به، وعظمته، وعظمة ملكه وسلطانه، مما يوجب أن يؤله ويعبد، ويفرد بالمحبة والتعظيم، والخوف والرجاء، وبذل الجهد في محابه ومراضيه" يدل على أي شيء اختلاف الليل والنهار؟ يدل على قدرة مصرفها وعلمه وحكمته، ورحمته الواسعة ولطفه الشامل وتصريفه وتدبيره الذي تفرد به وعظمته وعظمة ملكه وسلطانه سبحانه وتعالى مما يوجب أن يؤله

ويعبد ويفرد بالحببة والتعظيم. فهو الذي خلق السموات والأرض وما فيهما من أمور عظيمة، وهو الذي يدبر اختلاف الليل والنهار، لو كان إله النهار غير إله الليل - كما يدعي الصابئة كما يدعي المجوس- لكان انتظام الخلق مستحيلًا، ولكان هذا التصريف العظيم قد انفرط عقده، ولو كان إله الليل كما يقولون إله الشر، غير إله النهار وهو إله الخير، كيف كان حال الخلق وقد انتظم أمر كل شيء بتعاقب الليل والنهار؟!!

فهذا كله دليل "على وحدانيته سبحانه وتعالى وعلى كمال صفاته وقدرته وعلمه ورحمته ولطفه وعظمة ملكه وسلطانه كله ظاهر في تدبيره لما في السموات والأرض. مما يوجب أن يؤله ويعبد ويفرد بالمحبة والتعظيم والخوف والرجاء وبذل الجهد في محابه ومراضيه" نعم إنَّ من تأمل في الليل والنهار واختلافهما لا بد أن يجد في قلبه ما يدل على عظمة الله، لو تفكر في هذا الإحكام وهذا الإلتقان وهذا اللطف وهذه العطفية لما كان منه إلا محبة الله وتعظيمه وخوفه ورجائه.

يقول: "وفي (وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ) وهي السفن والمراكب ونحوها، مما ألهم الله عباده صنعها، وخلق لهم من الآلات الداخلية والخارجية ما أقدرهم عليها" وهنا نرى أمرًا عجيبًا، فهنا إشارة إلى شيء الخلق صنعوه، لكنه يبين لنا أنه من آثار عطيته ورحمته، وسيظهر هذا الكلام من خلال كلام الشيخ إن شاء الله .

يقول : "ثم سخر لها هذا البحر العظيم والرياح، التي تحملها بما فيها من الركاب والأموال، والبضائع التي هي من منافع الناس، وبما تقوم به مصالحهم وتنتظم معاشهم ثم سخر لها هذا البحر العظيم" أي أن الخلق أعطاهم الأدوات والآلات التي يصنعون بها الفلك، وكما نعلم أن الله هو الذي علم نوح كيف يصنع هذه الفلك ثم سخر لها هذا البحر العظيم لتجري فيه، والرياح التي تحملها بما فيها من الركاب والأموال والبضائع التي هي من منافع الناس، وبما تقوم به مصالحهم وتنتظم معاشهم. فمن الذي ألهم الخلق صنعها وأقدرهم عليها وخلق لهم من الآلات ما به يعملونها؟

أي: أدوات الإنسان: عقله ، وقدرته ، والمواد الخام . كل هذا من ألهمهم صناعتها؟ ومن أعطاهم القدرة على القيام بذلك؟!!

"فمن الذي ألهمهم صنعتها، وأقدرهم عليها، وخلق لهم من الآلات ما به يعملونها؟ أم من الذي سخر لها البحر، تجري فيه ياذنه وتسخيره، والرياح؟ أم من الذي خلق للمراكب البرية والبحرية، النار والمعادن المعينة على حملها، وحمل ما فيها من الأموال؟" أم من الذي سخر لهم البحر تجري فيه ياذنه وتسخيره والرياح؟ أم من الذي خلق للمراكب البرية والبحرية النار والمعادن المعينة على حملها وحمل ما فيها من الأموال؟ فإنكم كما تعلمون أن المراكب إما أن تكون معتمدة على الرياح، أو النار، والنار هي الوقود، فيسأل الشيخ يقول: من الذي وهبهم هذه المواهب؟ من الذي أعطاهم هذه العطايا؟ ويقرر هنا مسألة غاية في الأهمية نحتاج دائما أن نفكر بهذه الطريقة، فيقول: "فهل هذه الأمور حصلت اتفاقاً؟! أي هل المخترعات التي يخترعونها الخلق حصلت بالاتفاق؟!"

يقول: "أم المسخر لذلك رب واحد، حكيم عليم، لا يعجزه شيء، ولا يمتنع عليه شيء؟ بل الأشياء قد دانت لربوبيته، واستكانت لعظمته، وخضعت لجبروته" وغاية العبد الضعيف أن جعله الله جزءاً من أجزاء الأسباب، التي بها وجدت هذه الأمور العظام، فهذا يدل على رحمة الله وعنايته بخلقه، وذلك يوجب أن تكون المحبة كلها له، والخوف والرجاء، وجميع الطاعة، والذل والتعظيم.

السؤال الثاني: "هل الإنسان استقل بذلك وحده؟" أي ما علمه الله ولا أقدره، أي استقل بهذا الأمر العظيم وهو الذي خرج من بطن أمه "لا علم له ولا قدرة ثم خلق له ربه القدرة، وعلمه ما يشاء تعليمه" لا يعرف شيئاً ولا يقدر على شيء؟ وبالعلم والقدرة تحصل هذه الصناعات، ثم الله هو الذي خلق له القدرة علمه ما يشاء تعليمه؟

يقول: "أم المسخر لذلك رب واحد، حكيم عليم، لا يعجزه شيء، ولا يمتنع عليه شيء؟ بل الأشياء قد دانت لربوبيته، واستكانت لعظمته، وخضعت لجبروته. وغاية العبد الضعيف، أن جعله الله جزءاً من أجزاء التي بها وجدت هذه الأمور العظام" إذا لما أفكر في أي عطية أعطانا الله إياها لكن أجزاها على يد الخلق في أي تطور حديث يفتن الناس، نفكر بهذا الأسلوب، نسأل نفسنا هذه الثلاث أسئلة:

الأول: هل هذا الاختراع حصل اتفاقاً؟ أي اكتشفوا اكتشافات بمحض الصدفة؟ إذن الأمر الأول مستحيل أن يخترعوا هذه الاختراعات بمحض الصدفة.

ثانيًا: هل الإنسان استقل وحده ما علمه الله ولا أقدره استقل بهذا العمل العظيم وهو الذي خرج من بطن أمه لا يعرف شيئًا ولا يقدر شيء؟ ثم الله هو الذي علمه وأقدره ثم يكون في النهاية هو الذي اخترع هذا الاختراع من المستحيل أن العبد يكون مستقلاً بهذا العمل وهو الذي خرج من بطن أمه عاجزاً لا ينفع نفسه جاهل لا يعرف شيء في الحياة ثم الله عز وجل أقدره وعلمه.

أم أن **الحقيقة أن الله هو المسخر لذلك** وهو الرب الواحد الحكيم العليم لا يعجزه شيء ولا يمتنع عليه شيء، بل الأشياء قد دانت لربوبيته واستكانت لعظمته وخضعت لجبروته، وغاية العبد الضعيف أن جعله الله جزءًا من أجزاء الأسباب التي وجدت بها هذه الأمور العظام وهو الذي يرشدهم ويدلهم ويعلمهم كيف ينتفعون من الأرض، فإذا كان هو الذي ألهم النحل أن تتخذ هذه البيوت العجيبة، فكيف نشك أنه هو الذي علم بني آدم كيف يصلون إلى هذه المخترعات العجيبة؟! فهذه المخترعات تزيدك إيمانًا **أن الله هو الذي علم أهل الأرض**، ومن كان مؤمنًا لا تكون هذه المخترعات في حقه **فتنة**، أو تشعره **بالبعد عن الله والاستغناء عنه**، إنما في حقيقتها هذه المخترعات تزيدنا أن الله هو الذي علم خلقه وألهمهم، كما ألهم النحل كيف تبني هذه البيوت.

فسبحان من جعلهم يستطيعون أن يستفيدوا مما وضعه في الأرض مما ذرأ لهم من المعادن والهواء والغازات ومن كل مادة خام خلقها لهم وأودع في عقولهم أن يتنفعوا منها، فما العبد الضعيف إلا جزء من أجزاء الأسباب التي وجدت بها هذه الأمور العظام.

النتيجة المهمة: "فهذا يدل على رحمة الله وعنايته بخلقه، وذلك يوجب أن تكون المحبة كلها له، والخوف والرجاء، وجميع الطاعة، والذل والتعظيم" فهو الرب العظيم الذي علم هؤلاء الخلق الضعفاء، وأيضًا من آياته ما أنزل الله من السماء من ماء وهو المطر النازل من السحاب فأحيا به الأرض بعد موتها فأظهرت بأنواع الأقوات وأصناف النبات ما هو من ضرورات الخلائق التي لا يعيشون بدونها، أليس ذلك دليلًا على قدرة من أنزله وأخرج به ما أخرج؟! وأنت تنظر إلى الأرض تراها مهيئة فتري آثار رحمة الله يحيي الأرض بعد موتها؟

قال: ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ فأظهرت من أنواع الأقوات، وأصناف النبات، ما هو من ضرورات الخلائق، التي لا يعيشون بدونها.

أليس ذلك دليلاً على قدرة من أنزله، وأخرج به ما أخرج ورحمته، ولطفه بعباده، وقيامه بمصالحهم، وشدة افتقارهم وضرورتهم إليه من كل وجه؟" بلى، فإن الأرض الميتة التي لا نبات فيها، لما تراها قد نبتت ترى عجيب فعل الله عز وجل فيها، أما يوجب ذلك أن يكون هو معبودهم وإلههم؟! أليس ذلك دليل على إخراج الموتى ومجازاتهم بأعمالهم.

أي أن إحياء الأرض له وجهان:

١. وجه من جهة الدلالة على قدرته ورحمته بخلقه وكمال صفاته.
٢. ووجه يدل على إحياء الموتى ومجازاتهم بأعمالهم.

قال : ﴿ وَبَثَّ فِيهَا ﴾ أي: في الأرض ﴿ مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ﴾ أي: نشر في أقطار الأرض من الدواب المتنوعة، ما هو دليل على قدرته وعظمته، ووحدانيته وسلطانه العظيم، وسخرها للناس، ينتفعون بها بجميع وجوه الانتفاع" هذا من الآيات التي تدل تفصيلاً على عظمة الله واستحقاقه للألوهية:

- خلق السموات والأرض آية
- اختلاف الليل والنهار آية
- والفلك التي تجري في البحر آية
- وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها آية
- والآن ﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ﴾ أي: بث في الأرض من كل دابة أي: نشر في أقطار الأرض من الدواب المتنوعة فهو دليل على قدرته وعظمته .

وأهل علم الحيوان يعلمون هذا الشيء جيداً ويدركون كيف أن في كل أرض هناك نوع من الحيوانات لا يوجد في غيرها، دليل على عظمة الله ووحدانيته وسلطانه العظيم، وكيف أنه سخرها للناس ينتفعون بها بجميع وجوده الانتفاع، فهذه الحيوانات "منها :

✦ ما يأكلون من لحمه

✦ و يشربون من دره

✦ ومنها ما يركبون

✦ ومنها ما هو ساع في مصالحهم وحراستهم

✦ ومنها ما يعتبر "

النمل النحل الجمال، ترى منها ما يؤكل لحمه ويشرب من دره، ترى شيء منها يركب، ترى الحيوانات ساعية في مصالح الإنسان، تحرسه تحرث له ومنها ما يعتبر بما تنظر إليها، فتعتبر بصبرها، تعتبر بجهدا تعتبر بتنظيمها "ومع أنه بث فيه من كل دابة فإنه سبحانه هو القائم بأرزاقهم المتكفل بأقواتهم" فحن عن هذه الدواب لسنا مسؤولين ولسنا نحن الذين نطعمهم، بل نحن وهم يطعمنا الله ﴿فما من

دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها﴾

■ ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ﴾ وهذه هي الآية التي بعدها، أي بعدما تبين خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك وما أنزل الله من السماء وبث فيها من كل دابة الآن نسمع عن تصريف الرياح.

يقول: "باردة وحارة، وجنوباً وشمالاً وشرقاً ودبوراً وبين ذلك، وتارة تثير السحاب، وتارة تؤلف بينه، وتارة تلقحه، وتارة تدره، وتارة تمزقه وتزيل ضرره، وتارة تكون رحمة، وتارة ترسل بالعذاب" فما أعظم من يملك هذه السحاب ويصرفها سبحانه وتعالى!! فمن الذي صرفها هذا التصريف؟! لا بد أن تسأل نفسك، من الذي أودع فيها من منافع العباد ما لا يستغنون عنه؟ "فمن الذي صرفها هذا التصريف، وأودع فيها من منافع العباد، ما لا يستغنون عنه؟ وسخرها ليعيش فيها جميع الحيوانات، وتصلح الأبدان والأشجار، والحبوب والنوابت، إلا العزيز الحكيم الرحيم، اللطيف بعباده المستحق لكل ذل وخضوع، ومحبة وإنابة وعبادة؟" فهو الذي رعى عبده وأنشأ لهم ما ينفعهم ثم هم يكفرون نعمائهم ويتنصصون على نقص شيء بسيط في حياتهم .

■ "وفي تسخير السحاب بين السماء والأرض على خفته ولطافته يحمل الماء الكثير، فيسوقه الله إلى حيث شاء، فيحيي به البلاد والعباد، ويروي التلول والوهاد، وينزله على الخلق وقت حاجتهم إليه، فإذا كان يضرهم كثرت، أمسكه عنهم، فينزله رحمة ولطفًا، ويصرفه عناية وعطفاً، فما أعظم سلطانه، وأغزر إحسانه، وألطف امتنانه"

آخر آية من الآيات السحاب المسخر سبحانه وتعالى "أليس من القبيح بالعباد، أن يتمتعوا برزقه، ويعيشوا ببره وهم يستعينون بذلك على مساخطه ومعاصيه؟" والله هذا من أقبح القبيح، أن يتمتع الإنسان بنعم الله فلا يشكر ويكفر ويستعمل هذا في عدم شكر الله، في المعاصي!

"أليس ذلك دليلاً على حلمه وصبره، وعفوه وصفحه، وعميم لطفه؟" بلى والله! فرغم معصية الخلق ولكن نعمه على الخلق تترى! فلا زالت نعمه على الخلق باقية، يذيقهم بعض ما كسبوا، بعض ما اقترفوا عليهم يعودون ويرجعون إلى ربهم.

"فله الحمد أولاً وآخراً، وباطناً وظاهراً" يقول: "والحاصل، أنه كلما تدبر العاقل في هذه المخلوقات، وتغلغل فكره في بدائع المبتدعات، وازداد تأمله للصنعة وما أودع فيها من لطائف البر والحكمة، علم بذلك، أنها خلقت للحق وبالحق، وأنها" وأنها صحائف، هذه الأرض وهذه السماء كلها صحائف آيات وكتب دلالات اقرأ فيها أيها العاقل ما يزيدك إيماناً، "أنها صحائف آيات، وكتب دلالات، على ما أخبر به الله عن نفسه ووحدانيتها، وما أخبرت به الرسل من اليوم الآخر، وأنها مسخرات، ليس لها تدبير ولا استعصاء على مدبرها ومصرفها".

فأنت ترى الشمس كل يوم تشرق بإذن ربها وتغرب، وترى النجوم منتشرة في السماء يمسكها الله كل هذا كتاب مفتوح يزيد إيمانك، **تعبدك بالتفكر من أعظم أسباب زيادة الإيمان**، والإيمان من أعظم الأعمال "فتعرف أن العالم العلوي والسفلي كلهم إليه مفتقرون -ونحن معهم- وكلهم إليه صامدون -ونحن معهم- وأنه الغني بالذات عن جميع المخلوقات، فلا إله إلا الله، ولا رب سواه".

نسأل الله بمنه وكرمه أن يجعلنا ممن تيقظ للآيات وانتفع بها، ممن عقل فانتفع بعقله، انفعنا يا رب بما وهبتنا واجعلنا من أولي الأبواب الذين يتبصرون في آياتك فيزدادون إيماناً، وقنا عذاب النار، وقنا عذاب النار .

انتهى لقاءنا أسأل الله أن يطيل في حياتنا ويزيد إيماننا واجعلنا ممن انتفع بكلامه اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم تقبل منا الصيام وأعنا على القيام وثبتنا على دينك يا رؤوف يا رحيم يا لطيف بالعباد.